Issn:2437-0967 مجلة اللغة الوظيفية
المجلد9،العدد1
2022

خصوصيات الحلقــة اللّغـزية في منطقة القبائل
– دراسة ميدانية لعينات من منطقتي واضية و عزازقة(تيزي وزو)–

The peculiarities of the riddle in the Kabylie region
A field study on samples from the region of Ouadhias and Azazga (Tizi-Ouzou)

اسم ولقب الباحث: سلـــوى طبــركان [1*]

جامعة أمحمد بوقرة – بومرداس، كلية الآداب واللّغات، قسم اللّغة العربية وآدابها، الجزائر.

s.taberkane@univ-boumerdes.dz

تاريخ الإرسال:2022/02/14	تاريخ القبول:2022/04/14	تاريخ النشر:2022/06/10

الملخص

يمثل اللّغز شكلا من أشكال التعبير في أدبنا الشّعبي، وهو لون أدبي وشعبي خاص بسماته، مميز بقوالبه، متباين في مواضيعه وأغراضه. عرفه الفرد في المجتمع القبائلي مثله مثل باقي المجتمعات الأخرى، كمعرفته للأسطورة والحكاية والمثل والأغنية الشعبية...إلخ. وقد استعان به في التعبير عن مختلف القضايا التي شغلت تفكيره، وذلك وسط أجواء وظروف خاصة جعلته يتفرد عن باقي الأجناس الأخرى. ورغبة منا في كشف الستار عن أجواء وظروف وخصائص عملية طرح الألغاز الشّعبية في منطقة القبائل، قمنا بإنجاز زيارات ميدانية إلى عينات منتقاة ومختارة من منطقتي واضية وعزازقة (ولاية تيزي وزو). وكان هدف هذه الزيارات هو محاولة تسليط الضوء على مجموعة من المحطات أبرزها: كيفية أداء عملية طرح الألغاز في المجتمع القبائلي، خصائص الحلقة اللّغزية، الظروف الزمانية والمكانية التي تساير هذه العملية، وكذلك التركيز على الاختلافات الجوهرية الكائنة بين منطقة قبائلية وأخرى، والخاصة بطريقة الطرح وفك اللغز وإيجاد الحل.

هذا إلى جانب محاور فرعية أخرى سنحاول تحليلها ومناقشتها في موضوعنا هذا.

كلمات مفتاحية: اللّغز، منطقة القبائل، الشّفرة، الرّمز، الطقس.

[*] سلوى طبركان

الملخص باللغة الأجنبية :

The riddle is a form of expression in our popular literature. It is a literary and popular color particular to its specificities, characterized by its patterns and is different in its subjects and its objectives.

The individual in the Kabyle society has known it, like other societies, as a knowledge of myth, tale, proverb, popular folk song, etc. And he has used it to express the various questions that preoccupy his thought, in a particular atmosphere and circumstances that make him distinguished from other races.

To reveal the circumstances, conditions and characteristics of the process of launching riddles in the Kabyle region, we conducted field visits in selected samples in the regions of Ouadhias and Azazga (province of Tizi Ouzou). The purpose of these visits was to try to find answers to various questions, including:

How does the riddle process work in Kabyle society?

What are the characteristics of the riddle?

What are the temporal and spatial conditions that accompany the creation of the puzzles?

Is there a difference from one region to another in the Kabyle rergion?

This is in addition to the other sub-questions that we will try to analyze and discuss in our theme.

Keywords : riddle, code, Kabyle rergion, symbol, ritual

1. مقدمة:

تمتاز منطقة القبائل بأدب شعبي يجمع بين عناصر الثقافة والهوية القبائلية بمفهومها الواسع والعام. فالدارس لهذا الأدب، يدرك بأن من بين أشكاله القولية ندرة وأكثرها عرضة للاندثار، نجد فن "الألغاز" الذي يمثل أنموذجا عريقا، متعدد المجالات، متنوع الموضوعات، زاخرا بالمعلومات وغنيا بالدلالات.

فهو إذن فن ذو مكانة معتبرة ضمن خانات ثقافة وأصالة المنطقة. كيف لا واللغز هو ذلك الكنز الأدبي والاجتماعي في بنك الذاكرة الشّعبية، تدّخره الأمم لأجيالها كما يدّخر الفرد المال للأيام العجاف، وهو أيضا تجربة في مختبرات الأدب الشّعبي لها، يستحضره الخلف في غياب السلف، ويستعينون به في مناسبات اختبار الذكاء وامتحان الذهن في مختلف الأماكن والأوقات، على اختلاف مواضيعه وتباين أنواعه.

وترتبط عملية طرح الألغاز القبائلية وعقد حلقاتها بظروف خاصة ومميزة ، ارتأينا أن نسلط الضوء عليها في دراستنا هذه لمعرفة خصائصها الفنية والدلالية عند ممارسيها. لذا كان لزاما علينا أن ننزل إلى الميدان ونتابع عن كثب كل الظروف الزمنية والمكانية والإجرائية المتعلقة بالعملية اللّغزية.

وهكذا وقع اختيارنا على منطقتي واضية وعزازقة (تيزي وزو) كعينتين للدراسة، محاولين من خلالهما الإجابة عن عدة إشكاليات أبرزها:

فيما تتمثل خصائص الحلقة اللّغزية في منطقة القبائل؟ وما هو زمان ومكان عقدها؟ من يتولى عملية طرح الألغاز وإيجاد حلولها؟ وما هي الطقوس المرافقة لها.

هذا إلى جانب نقاط أخرى سنحاول التطرق إليها والتفصيل فيها في عملنا هذا.

2. التعريف بمنطقتي الدراسة (واضية وعزازقة):

1.2. منطقة واضية:

تقع منطقة واضية جنوب ولاية تيزي وزو، وتبعد مدينتها عن مقر الولاية بحوالي خمسة و ثلاثين (35) كيلومتر. يحدها من الشمال دائرة بني دوالة، ومن الشّرق دائرتا بني يني وواسيف، أمّا من الغرب فدائرة بوغني، ومن الجنوب الكتلة الجبلية لجرجرة.[1]

تعرف هذه المنطقة بكونها منطقة جبلية، إذ تتمثّل فيها الجبال نسبة 60% فهي بالتّالي ذات مسالك صعبة وتضاريس مختلفة ومناخ قاسٍ، فهو حار وجاف صيفًا، بارد وممطر شتاءً، تتساقط فيها الثّلوج بنسبة كبيرة، بحكم ارتفاعها وقربها من جبال جرجرة الشّامخة.

كانت المنطقة في السابق تسمى بـ "أيْحَدْ إوَضِيَنْ" نسبةً إلى يوم الأحد، و هو اليوم الذي كان فيه النّاس يقصدون المنطقة من كل مكان للتّسوّق و قضاء الحوائج. ثم أصبحت فيما بعد تسمى "بـ " إوَضِيَنْ" (واضية) وسبب تسميتها تلك –حسب بعض الرُّواة الذين جمعني اللّقاء بهم– عائد إلى "لُوظا" الذي يعني (المسطح) بالعربية بمعنى الأرض المسطحة. فرغم كون المنطقة جبلية بنسبة 60% إلاّ أنّ مدينتها تتمثل في مسطحات (لُوظَا) أسفل جبال جرجرة، تشغل مساحات شاسعة صالحة للرّعي وممارسة أنشطة زراعية مختلفة، وهكذا سميت المدينة بواضية، ثم تعمّمت فيما بعد التّسمية على كل المنطقة.

أُسست دائرة واضية عام 1991 وكانت منذ 1891 بلدية تابعة لدائرة لربعا ناث إيراثن، وهي تضم حاليًا أربع بلديات وهي: واضية، أقني ڤغران، آيت بوادو، تيزي نتلاثة.[2]

2.2 منطقة عزازقة:

تقع هذه المنطقة شرق ولاية تيزي وزو، وتبعد مدينتها عن مقر الولاية بحوالي سبعة وثلاثين (37) كيلومترا. يحدّها من الشرق دائرة زكري ولاية بجاية وغابات أكفادو الكثيفة ومن الغرب دائرتا واڤنون ومقلع، أمّا من الشمال فدائرة أزفون ومن الجنوب دائرة بوزڤان وواد سيباو.[3]

تعدّ منطقة عزازڤة منطقة سهبية، يسود فيها مناخ البحر الأبيض المتوسط، فهو حار وجاف صيفًا، بارد وممطر شتاءً، تتساقط فيها الثّلوج في المناطق الدّاخلية. وكونها قريبة من أزفون وتيڤزيرت، فهي متأثّرة بمناخ هذه المناطق، كما نجد ملامح المناخ القاري في مناطقها الجنوبية، وتهب عليها رياح موسمية هي رياح البحر المتوسط.

لقد كانت منطقة عزازقة تسمى في السابق باسم "إِعَزوقْنْ* وسبب هذه التّسمية يعود إلى فترة الاحتلال الفرنسي لمنطقة القبائل الكبرى، حيث عمل الجنرال "روندن" على شن هجومات مختلفة للسيطرة على منطقة تيزي وزو كليًا. فبعد النجاح الذي حقّقه الجنرال في معركة "إِشَرِيَظَنْ" عام 1857 وتغلبه على القائدة "لالة فاطمة نسومر" في منطقة سيباو العليا، أراد الولوج إلى جرجرة، فتأكّد من أن المنفذ الوحيد إليها هو الجهة الشّرقية مرورًا بعزازقة.

وهكذا عزم الجنرال "روندن" على أن يبدأ من مقلع ثم جمعة الصهاريج للوصول إلى عزازقة مرورًا ببو بهير إلى سبت ناث يحي يخلف في لربعا ناث يراثن، ثم أرسل ضابطًا يحمل علمًا أبيض، تمّ استقباله من طرف جماعة تسمى –الاثني عشر–عند مدخل عزازقة، وحين تعرفت الجماعة على غاية الرسول، اختلوا لحظة ثم رّدوا عليه قائلين "عد إلى من بعثك وأخبره بأننا سنظل أصماء لهذه العبارات التي تحثّنا على الغدر والخيانة"، وحينئذٍ قرّر الجنرال أن يُسمع صوت المدافع للرّافضين طلبه، معلنًا قتله للخارجين عن القانون والعُصاة لأوامره.[4]

ومنذ تلك الحادثة، أُطلق على المنطقة تسمية "إِعَزوقْنْ"، إلى أن شيّدت مدينتها عام 1882، فتحوّلت التّسمية فيما بعد إلى عزازقة.

تضمّ دائرة عزازقة أربع (05) بلديات هي بلدية إعكورن، فريحة، إيفغاء وعزازقة وزكري. ولكل منطقة من هاتين المنطقتين مميزاتها الجغرافية والاجتماعية والثقافية.

3. ضبط (تحديد) مصطلح اللّغز في منطقة القبائل:

يعرف اللّغز في منطقة القبائل بتسميات عدّة. ففي منطقة واضية يطلق عليه اسم" ثِمْسَعْرَاقْثْ" tamsaɛreqt جمعها : ثِمْسَعْراقْ، ثِمَسْعَرْقِينْ، ثِمْسَعْرَقِنْ.

جاءت هذه التّسمية من الفعل (إِسَعْرَقْ) esaɛreq الذي يعني ضياع الشيء أو إخفاءه، كأن نقول عن شخص يتهرب من الجواب "إِسَعْرَاقْ لَهْذوزْ" وعمّن يجعلك في الخطأ " إِسْعَرْقِي إِيْزْان" ويُقال أيضا "عْرَقْنِي إِيْزْانْ" أي أصبحت حائرًا لا أميّز بين الخطأ والصواب.

أما في منطقة عزازقة فاللغز يحمل اسم "ثَمْسَفْروثْسْ" tamsefrut ج: ثِمسَفْرَا. وهي تسمية مأخوذة من الفعل "إِسَفْرَا" و"يَفْرَا" الذي يعني الشرح والتّفسير وإيجاد الحل وتأويل الكلام، كأن نقول مثلا (أَذِسَفْرُ ثِرْفَ) أي يؤول الأحلام.[5]

هذا وتجدر الإشارة إلى أن اللغز يحمل تسميات أخرى في منطقة القبائل منها " ثَقَنُوزْثْ" taqenuzt ج: ثِقُنَز، إقُنزْ، ثِقَنُوزِنْ، وهذه التسمية هي تسمية غريبة مأخوذة من كلمة" أَقَنُوزْ" التي تعني الشيء المكوّر غير متقن الصنع، كأن نطلقها على عجين وضع على النار لكي يطبخ.

يقال : "يُقَيِدْ أَقَنُوزْ" أي صنع لي عجينا غير متقن وغير مكتمل الصنع. فاللّغز يطرح ليوجد له حل، والعجين لابدّ أن يرقق ويطبخ وإلاّ ستوصف المرأة بعدم المهارة في الطبخ.[6]

ومن التسميات التي تطلق على اللّغز أيضا تسمية " ثِمْسْبِبِثْ " timesbibit ،ج: ثمسبباي، وهي مأخوذة من الفعل " إِبَبْ"[7]، الذي معناه الحمل على الظهر، وهذه التسمية وضعت للّغز لارتباطها الوثيق بطقس يؤدى أثناء ممارسة الألغاز، في حالة ما إذا تعسّر على المسؤول/المختبَر إيجاد الجواب الصحيح. فهذا الطقس يعدّ نوعا من لعب الأطفال، وهو أيضا بمثابة عقاب ينزله طارح اللّغز على المتلقي، لعدم تمكنه من فك اللّغز المطروح، ويتمثل هذا العقاب في حمل فرد من الأفراد، أو شيء من الأشياء على الظّهر، وهو ما يعرف بالقبائلية بـ: "أثِبْ أف أُزَقرِسْ /أَعْرُرِسْ".

ويرى الباحث القبائلي يوسف عليوي أنّ هذه اللّعبة في الأصل، كانت تمارس بين الأطفال بعد تشكيلهم لحلقة، فيختار أحدهم اِسم حيوان فيقلّد صوته، ويقوم اللاعب الرّئيسي الذي يكون محجوب العينين من إيجاد الطفل الذي قلّد صوت الحيوان، وإذا تمكن من ذلك يقوم بحمل كاشفه على الظهر، أو ما يعرف بـ: "إِبِبِ" (ibibi) والدوران به دورات محددة.[8]

ومن هنا يتّضح لنا جليّا أنّ تسمية اللّغز بهذه التّسمية (ثمسبِبِثْ) ينص على أنّ هذا الجنس عبارة عن لعبة، ولكنه قبل كل شيء لعبة لغوية، أو تمرين لغوي يستجيب في الوقت نفسه لجملة من القواعد والسمات، التي يُعرف ويتمّيز بها عن باقي الأجناس الأدبية الأخرى.[9]

وما نلحظه هنا هو وجود وجه الشبه بين اللّعبتين، أي تقليد الأصوات وطرح الألغاز، في كون كلتا اللّعبتين فيها إخفاء وغموض، مع أنّ الأولى عبارة عن غموض مادي ملموس (إغماض العينين بوساطة حجاب) و الثانية غموضها غموض معنوي (إخفاء معنى اللّغز).

وإلى جانب التسميات المذكورة لجنس اللّغز، نجد تسميات أخرى مختلفة مثل: ثَقْسِطْ، ثَمْعَيْثْ، ثَمَشَهُتْسْ نُ سَفْرُو، ثِمْسَعْوَقْثْ، ثِمْشَكَلْثْ، ثِمْقَلَقْثْ...إلخ[10]، تشترك جميعها–بالرغم من اِختلافها– في صفات الغموض والإخفاء والالتواء والحيرة التي تمثل قاسما مشتركا بينها جميعا.

4. الحلقة اللّغزية في منطقة القبائل:

تطرح الألغاز الشّعبية بمنطقتي واضية وعزازقة، على غرار مختلف المناطق القبائلية الأخرى، في شكل حلقة مشكلة من الكبار والصغار معا، دون أي تمييز. فبعد الزيارات الميدانية للمنطقتين، استخلصنا أنّ اللّغز الشعبي كان وما يزال أحيانا يؤدى كما يلي:

1.4. وجود طارح اللّغز (السائل):

إذ يتولى مهمة طرح الألغاز الشعبية في المجتمع القبائلي، أفراد لهم مرتبتهم وقيمتهم الاجتماعية، أو أفراد أقل ما يمكن قوله عنهم أنّهم ذوو حكمة وذكاء. فانطلاقا من أراء راويات منطقتي الدراسة واضية وعزازقة وعلى اختلافها، ندرك بأن طارح اللغز وخاصة في القديم، غالبا ما يكون عنصرا أنثويا (امرأة متقدمة في السن)، لها دراية بالأمور وخبرة في الحياة وتجربة في صياغة الكلام وجودته. وهو الأمر الذي يؤهلها لأن تنتج ألغازا تجمع بين عدة مستويات لغوية وفنية معبّرة.

ولكن هذا لا يمنع من أن يكون طارح اللّغز من جنس الرجل أيضا، مع أنّ هذا الأمر قليلا ما يحدث. ويشترط فيه أن يكون رجلا عاقلا، حكيما ومتمكنا من نسج الكلام المعبّر والدّال، في شكل قوالب منّوعة تلفت الانتباه وتجذب الأنظار وتلقى الإقبال.

تقول الراوية "معوال" من منطقة عزازقة: «زِيكْ يَتْسَودْ ثِمْسَفْرَا وَمْغَارْ، ثَمْغَارْثْ، وِقَاذْ يَسْعَنْ أَزَالْ مُقْرَانْ. أَشْفِغْ نَكِنِ أَمْغَارِ وْيَتْسَودْ ثِمْسَغْرَا ، نْتسَ ذَ طَالَبْ تَمْعَمَارْثْ...»[11] بمعنى أنّ الألغاز كانت في القديم تطرح من قبل عجوز، عجوزة، ممّن لهم مكانة وقيمة اجتماعية. فالراوية على حد تعبيرها، تتذكر بأن والد زوجها كان يطرح على أفراد أسرته الألغاز وكان هو طالبا في زاوية...الخ.

ولكن هذا لا يعني أنّ الألغاز حكر على العجزة دون سواهم، فقد يتولى فرد آخر من أفراد الأسرة أو المجتمع عموما، مهمة عقد حلقات الألغاز والبحث عن حلول لها. كالأب أو الأم أو حتى الأخت الكبرى أو الكنة...الخ. وهكذا فالكل يسهم بما يعرف في عملية طرح الألغاز وإيجاد أجوبتها والكشف عن معانيها وتعلّم عِبَرِها.

فليس شرط إذن على طارح اللغز أن يكون كبير السّن مثلما هو الحال في راويات الحكايات، ومع ذلك فهو يحدد لنفسه مرتبة أعلى معرفة من الطرف الآخر، كونه يمتلك الجواب. وبه يتحدى المستمعين الذين يتسابقون في البحث عن إيجاد الحلّ الصائب.

نفهم مما سبق أن طارح اللغز يكون من جنس الرجال والنساء معا، ولا رّبما كانت الألغاز أكثر شيوعا بين النساء مقارنة مع الرجال.

2.4. وجود مستقبِل اللّغز (المسؤول):

إنّ عملية عقد حلقات الألغاز الشعبية تستدعي لا محالة طرفا يتولى مهمة البحث عن إيجاد الحلول، وذلك بعد فك شبكة الرموز التي تحويها نصوص هذه الألغاز وإزالة غموضها. فغالبا ما يكون مستقبل الألغاز مجموعة من الأطفال الصغار، يتفاوتون في الأعمار، من نفس الأسرة أو حتى أبناء الضيف والجار. وهذا قصد التسلية والترفيه واختبار الذكاء بالدرجة الأولى، ولعل هذا يمثل الوظائف الأولى والأساس التي وضع من أجلها هذا الفن الأدبي والشّعبي.

فيعمل هؤلاء الأطفال إذن على عقد المقارنة بين ما في خطاب اللّغز وما في الواقع لإيجاد الجواب، لأنّ التأويل يعتمد على ما نملكه من حمولة معرفية وثقافية، نستمد منها تصوراتنا لما نلقاه. فالعقائد والقناعات والمعايير والأنماط والقوالب المشكلة والتموضع الثقافي والديني والأخلاقي، يلعب دورا أساسيا في عملية التأويل.[12]

وتجدر الإشارة إلى أنّ مستقبل اللّغز الشّعبي القبائلي –على حد تعبير راويات منطقتي الدراسة– قد يكون من فئة الكبار(رجال، نساء) إذا كانت الحلقة اللّغزية تحمل أبعادا أخرى، كالرغبة في التخفيف من مشقة العمل في البيت قديما، أو حبا في الترفيه في سهرات السمر، أو حين يلم شمل الأسر في ليالي شهر رمضان الكريم...إلخ. نقول إذن إنّ الألغاز الشّعبية القبائلية تلقى على الصغار كما تلقى على الكبار، ولكن تبقى فئة الصغار تمثل المستقبل الشائع والعام والكبير.

3.4. زمان ومكان الحلقة اللّغزية :

تطرح الألغاز الشعبية القبائلية بمنطقتي واضية وعزازقة قديما، في ظروف خاصة ومميزة، تتشابه إلى حدّ كبير مع ظروف رواية الحكايات الشعبية والخرافية. فاستنادا إلى آراء جميع الروايات من منطقتي الدراسة، ندرك بأنّ ممارسة الألغاز مرتبطة بمكان و زمان معينيّن. فمن حيث المكان ترتبط بالموقد، في أيام الشتاء الباردة والطويلة، حيث يجتمع أهل البيت وحتى الأحباب والجيران حول النار، في شكل حلقة تجمع طارح اللّغز ومستقبليه من الكبار والصغار على حدّ سواء. فهم بذلك يلتمسون الدفء من جهة وينصتون لتفاصيل اللغز من جهة أخرى، مثلما هو الحال في رواية الحكايات الشّعبية والخرافية.

إنّ عملية طرح الألغاز، ترافق أحيانا إنجاز بعض النساء لحرفهن التقليدية، كالحياكة وتنقية الصوف وغيرها، فالحرفية قد تكون خلف نسيجها، تنجز عملها، وفي الوقت ذاته تستمع للألغاز وتشارك في إيجاد حلولها. فالألغاز في هذه الحال تعدّ بمثابة حافز يجعلها تشتغل وتسهر أكثر، لتتم أعمالها في فترة أقصر، وذلك وسط أجواء حميمية، من شأنها أن تعين في إنجاز مهامها.

تقول الراوية معوّال من منطقة عزازقة: «زِيكْ، مِ إِنْتْشَامِنْسِ، أَنچَمْعَاكْ أَلْقَشَنِ أَكِينْ، أَدْنَقَمْ إِمَرَنْ أَرَلْكَنُونْ، أَنْتْسْقَصَرْ، أَدَنْتْسَوِإِ مَرَنْ ثِمْسَفْرَيَقِ. ثَمْطُوتْ يَسْعَنْ أَزْطَ ، أَتْسْكْشَمْ ذَفِرْ أَزُطَ، أَتْشْعَلْ أَلْمَصْبَاحْ وَأَتْسْزَظْ، وَأَدَتْسَوِثِمْسَفْرَا، أَتَتْتِدَفْ.... ».[13]

فقول هذه الراوية يوضح ما قلناه، حيث تقول إنّه كان أفراد الأسرة في القديم يجتمعون حول الموقد، بعد تناول وجبة العشاء لتبادل أطراف الحديث، تعدّ الألغاز من بين المواضيع التي كانت تحضر في مثل هذه الجلسات. فالمرأة التي كانت تمارس صناعة النسيج مثلا تُسهم في قول الألغاز وإيجاد حلولها وهي جالسة خلف نسيجها، تحت ضوء مصباح زيتي ينير لها مكان العمل لفترة أطول.

أما من حيث الزمان، فالألغاز الشّعبية القبائلية بالمنطقتين، تطرح حين يُلمّ شمل العائلة ليلا، وذلك بعد تناول وجبة العشاء وإتمام الأشغال المنزلية– كما سبق وأن ذكرنا– ولا تطرح نهارا خوفا من الإصابة بلعنة الصلع (أَفَرْظَسْ) على حد تعبير الروايات. كما أنّه يتعذّر على الناس الاجتماع وعقد حلقات لغزية في وضح النهار، فالنهار للعمل الحثيث والجهد الجهيد، إذ إنّ لكل فرد من أفراد الأسرة عمل ينجزه : فالشيخ في الحقل يزرع و يحصد، والمرأة في البيت تطبخ وتصنع بأناملها مستلزمات البيت، والصغير في المرعى يجهد ويساعد... وهكذا وبعد انقضاء النهار وبحلول اللّيل الطويل، يجتمع الأفراد ويحلى الطرف، ويكون اللغز حاضرا ليزيّن السهرات وينير الجلسات، التي تنعقد بين مختلف الأفراد والعائلات.

فالألغاز إذن تلقى حول الموقد وفي ليالي الشتاء الطوّال، وهو الظرف الأكثر اغتناما. لكن هذا لا يعني أنّها لا تطرح في فترات أخرى، كعرضها في سهرات الصيف، وليالي السهر وفي المناسبات السعيدة، كليالي الشهر الكريم في جو ترفيهي بهيج.

كما تقول ذلك الراوية زدام من منطقة واضية: «أَشْفِيغْ زِيكْ ذِ رَمْضَانْ، أَيَعْذَا مَا أَدْيَسْكِ ذَقْنَيْذْ، مِ نَرْزَ أَيْمَغْرَبْ أَدَ نَجْمَعَاكْ يَرَا يُوخَامْ إِوْيَحْرِ نَكْتِ أَسْتِيَوِنْ. مَا ذِرْقَزَنْ وَأَذِرُوحْ أَذِزَلْ، وَأَذِرُحْ أَيْقَهْوَا. مَ أَذْنَكْتِ تَا أَتْكَشْمَ أَرْتَا، يَحْبَابْ، أَلْجِرَانْ... وأَدْنَقَرْ ثِمْسَعْرَاقْ إِوَكَنَانَ زْهُو أَمْ نَكْتِ أَمْ وِقَاذْ مَزِيَانْ....».[14]

فالراوية تقول بأنّه يحدث في شهر رمضان قديما، وخاصة لما يحّل في فصل الصيف، أن تجتمع النساء كلهّن في حوش البيت للتخفيف من حرّ الجو، وذلك بعد تناول الإفطار. أما الرجال، فمنهم من كان يقصد المسجد لتأدية صلاة التراويح، ومنهم من يتجه إلى المقهى...الخ. فالنساء كنّ يتبادلن الزيارات بين الأحباب والجيران، و يطرحن الألغاز فيما بينهن، ليتسليّن جميعا كبيرات كنّ أو صغيرات.

وما يمكن قوله إجمالا عن ظرف طرح الألغاز الشّعبية بمنطقتي الدراسة، هو أنّ ليالي الشتاء الباردة بساعاتها الممتدة والطويلة، التي تدفع الأفراد إلى التجمع حول حلقة نار، إلى جانبها سهرات الصيف

والسهر، وكذا مناسبات أخرى تُلمّ الأفراد والعائلات، هي كلها أوقات خصبة لطرح الألغاز وعقد حلقاتها وإيجاد حلولها.

4.4. الطقوس المرافقة للعملية اللّغزية:

تطرح الألغاز الشّعبية بمنطقتي واضية وعزازقة، على غرار مختلف المناطق القبائلية الأخرى، في شكل حلقة مشكلة من الكبار والصغار معا، دون أي تمييز. فبعد الزيارات الميدانية للمنطقتين، استخلصنا أنّ اللّغز الشعبي كان وما يزال أحيانا يؤدى كما يلي:

يبدأ طارح اللّغز – والذي غالبا ما يكون عنصرا أنثويا– حلقته اللغزية، في منطقة واضية بقول العبارة التالية: "أَقْرَغْ أَعْقَ ذِسْقَفْ، وِينْ إِدْيَنْطْقَنْ أَذْيَسَيْقَفْ"*، وهي عبارة عن افتتاحية ترهيبية غايتها حلول الهدوء والسكينة، وذلك بتخويف المستمعين للغز من الموت المذكور في العبارة، إذا ما تلفظوا بكلمة. وهكذا يعمّ الهدوء وتحضّر الأجواء، لتنطلق عملية عرض الألغاز والتركيز لإيجاد حلولها.

أما في منطقة عزازقة، فمقدمة الحلقة اللّغزية، تختلف تماما عن منطقة واضية. حيث تفتتح الرواية حلقتها بالقول: "أَمَاشَهُو، إِيَا أَدْنَوِ ثِمْسَفْرَا، ثُورَا أَدْنَوِ ثِمْسَفْرَا..."[15]، بمعنى: "أماشهو، هيّا لنبدأ في طرح الألغاز، الآن سنبدأ في طرح الألغاز..." ثم تشرع في قول الألغاز. فاللازمة الغامضة **أماشهو**، تمثل مقدمة قارة في ألغاز منطقة عزازقة، كما في الحكايات الخرافية ، وتقابلها عبارة "حاجيتك ماجيتك" في اللغة العربية الدّارجة. وهي تمثل نقلة نفسية وذهنية للمتلقي، تنقله من الحاضر الذي تحكمه مقاييس عقلية، منطقية وأخلاقية واقعية، إلى ماض خرافي غابر لا منطقي، يتحقق فيه المستحيل.[16] وغايتها تشويق وإثارة فضول المستمعين، الذين يردّون على الراوية بالقول "أَهُو".*

وهكذا تبدأ طارحة الألغاز في منطقة عزازقة ، كما في منطقة واضية ، بقول الألغاز البسيطة لتحفيز المستمعين وخاصة الصبايا، على إيجاد الحل وتحسسيهم بإمكانيتهم في العثور على الجواب والقدرة عليه. ثم تنتقل إلى طرح الألغاز الأقل بساطة فالمعقّدة. وتختتم كلّ لغز من هذه الألغاز بخاتمة قارة، وقد تحذف أحيانا، إلاّ أن معناها يُفهم من سياق الكلام (مقام استفهام)، وهذه الخاتمة تتمثل في كلمة واحدة هي (ذاشُوتْ!/ ذاشُوتْسْ!) بمعنى (ما هو!/ ما هي!)، ويكون الجواب بكلمة واحدة أيضا في غالب الأمر، ولكن أحيانا قد يحدث أن تتبع بتوضيح بسيط أو تعليق قصير.

وبمجرد أن تنهي طارحة اللغز كلامها، يشرع المستمعون في ذكر إجاباتهم، وفي حالة ما إذا تعسّر إيجاد الجواب يطالبون بتوضيحات كالقول: هل هو حيوان؟ هل هو شيء يستعمل في البيت؟...الخ. ولا تقدم الراوية الجواب الصحيح، بل تكتفي بتقديم تفسيرات ومساعدات. أما إذا صعب عليهم فعلا إيجاد الحل ، تردّد الراوية عبارة من شأنها أن تحفّز أكثر على البحث عن الجواب الصائب، وتتمثل هذه العبارة

في القول: أَكْسْبِيَغْ، أَكْقُنْزَغْ...**، وإذا انعدم الجواب تقول طارحة اللغز عبارة أخرى، يصاحبها تأدية طقس من الطقوس، والذي هو بمثابة عقاب لمن لم يتمكن من إيجاد الجواب حيث تقول: "إِمِأُدُفِظَرَ، أَكْسْبَيَغْ، أَكْقُنْزَغْ، قُنَزْغَكْ أَلْحُومُ، أَلْقُومْ، تَقَرْفَ مُ قَمُومْ، تَقُفَتْسْ إِمَسْمَرَنْ، أَدَبُوزْ أَرْيَذْمَرَنْ، أَذْوُكِمْ أَرْوَنْزَرَنْ"*** ثم تنطق بالحل أو تسمى ذلك الشيء. وتأمر من لم يلق الرّد ، بحمل شخص من الأشخاص على الظهر(أَبِبِي) والدوران به دورات محددة، كعقاب على عدم إيجاد الجواب. وما نلحظه من خلال هذا القول، هو أنّ قائلة اللغز تقول كل ما من شأنه أن يخيف متلقي اللغز، كالغراب، المسامير، الضرب،...الخ، وهو ما يحفّزه أكثر على البحث وتعميق التفكير مرة أخرى.

وهكذا نستخلص، أنّ اللّغز الشّعبي في منطقتي واضية وعزازقة، كان يُؤدى في أجواء خاصة في شكل حلقات ذات سمات ممّيزة، ووفق ممارسات وطقوس معينة، قلّت بدرجة كبيرة إن لم نقل أنها زالت في أيامنا الحالية.

5. الشفرة اللّغزية بين السائل والمسؤول:

يعدّ اللّغز الشّعبي كومة من الرّموز المعقدة والغامضة، التي يسمح لنا فكها، فهم أمور كثيرة حدثت لأسلافنا، في عصر من العصور الماضية. فعبّروا عنها بمختلف وسائل التعبير المتاحة، موظفين في ذلك عامل الرّمز في نقل العارف والمعتقدات، وتسويق التجارب والخبرات في قوالب غنيّة بالدلالات، تصرّح بالمكبوتات التي لم تفلح الكلمة العادية في إيصالها إلى مختلف الذهنيات. يقول أرسطو: «إن الكلمات المنطوقة رموز لحالات النفس، والكلمات المكتوبة رموز للكلمات المنطوقة»[17]. وهكذا فإنّ الفنان الشعبي لا ينطق عن الهوى، بل كلامه يظم الكثير من المعاني، التي تستنبط من خلال فك رموز هذا الشكل التعبيري وإدراك مدلولاته.

ففي ألغاز منطقتي الدراسة واضية وعزازقة، نلمس العديد من الرموز التي تحمل أبعادا ثقافية، نفسية واجتماعية ذات معان مركّزة، يعمل طارح اللّغز على توظيفها، نلخص أهمها فيما يلي:

- يرمز للرأس بالجذع والأطراف بالأغصان.
- كل ما هو عال ومرتفع يشار إليه بالرأس أو بالجبل أو ثيزي، وكل منخفض بالأرض أو الرجل.
- يعبر عن الحبات والأشياء الصغيرة بالأولاد، وعن الأمور المرتبطة وكذا الحقائق المتشابهة كالأيام والشهور بالإخوة، وهذا الرمز هو نفس ما أشار إليه الباحث بورزف porzig، الذي درس الألغاز الألمانية.

– تستخدم البنية اللونية لتشخيص بعض الأمور المعنوية، كتوظيف اللون الأبيض للدلالة على النور، الفرح،... إلخ. كما يوظف اللون الأسود للتعبير عن الظلام، الحزن...الخ. وبالمقابل يعبر عن كل شيء ذي لون أسود بالعبيد (أَكْلِي).

– يرمز للجمال الذكرى بـ أَقُرْ (القمر) و للجمال الأنثوي بـ ثِزِرِي (نور القمر).

– استخدام أسماء بعض الحيوانات، كالحمل، الثور...للدلالة على أشياء مختلفة تشترك معها في اللون، القوة... كاستعمال لفظة إِزَمَرَنْ (الحمل) للدلالة على الأسنان مثلا و ذلك لتشابه لونيهما.

– توظّف بعض الأعداد أو الأرقام في نصوص الألغاز القبائلية دون غيرها من الأرقام، كالرقم سبعة (7) الذي يرد بصفة كبيرة في مختلف الأشكال الأدبية الشعبية. فهو من الأعداد المقدسة في المعتقدات الشعبية القبائلية ويَرمز إلى عدد الكواكب[18]. ونظرا لقداسته، فهو يدخل في الكثير من العادات والممارسات الشعبية بمنطقة القبائل، كالزواج والختان...الخ . ففي فن اللغز يستخدم للإشارة إلى أيام الأسبوع وكذا السماوات السبع و البحور السبع...الخ.

ويستعمل العدد إثنان (2) بصفة كبيرة أيضا في فن اللغز، إذ إنّ سر الوجود البشرى بكامله مرتبط به، وهو يحيل إلى استمرار الحياة عند الإنسان القائمة أساسا على طرفين هما : آدم وحواء. فهو إذن رمز من رموز التمام، يوّظف للدلالة على الأشياء المكملة لبعضها البعض.

يمثل ما ذكرناه إذن بعضا من الرموز الواردة في ألغاز منطقتي واضية وعزازقة وأبعادها، مع العلم أن اللغز الشعبي القبائلي عموما، يفيض بالرموز التي يستدعي فهمها وإدراك معانيها، الاطلاع الواسع على الوسط الذي أفرزه وعلى استعمالاته المحلية من جميع نواحيها.

6. خاتمة:

في ختام هذه الدراسة توصلنا إلى مجموعة من النتائج يمكن تلخيصها فيما يلي:

1- يمثل اللّغز الشّعبي القبائلي إحدى صور التّراث والمخزون الشّعبي اللامادي، الذي يتناقله الأخلاف عن الأسلاف بالرّواية الشّفوية.

2- تختلف تسمياته، وأحيانًا صياغاته وحلوله من منطقة إلى أخرى، تبعًا لتأثير العوامل الجغرافية والاجتماعية الخاصة بكل منطقة.

3- يُؤدى في شكل حلقات تجمع أفراد عدّة، وفي ظروف خاصة ووِفق ممارسات طقسية محدّدة.

4- يشيع أكثر بين النساء مقارنة بالرجال، مع أنّ الأوضاع قد تغيّرت مع تحوّلات العصر.

5- لغة اللغز القبائلي لغة خاصة غنيّة بالرّموز و كلمات الأسرار الخفية، ذات المعاني والدّلالات العميقة.

وختاما نقول إنّ اللّغز الشعبي القبائلي يمثل زادا معرفيا و كنزا ثقافيا في رصيد ثقافة منطقة القبائل عموما، ومنطقتي الدراسة واضية وعزازڤة خصوصا. فهو المرآة العاكسة لحياة أفرادهما بأدق تفاصيلها منذ حقب زمنية طويلة. استمر الناس في روايته وترداده حتى وصل إلينا في شكله الحالي، محافظا على مكوناته الأساس على الرغم من تأثير الرواية الشفوية عليه من جهة، ووسائل الترفيه وإزجاء الوقت والتعليم والتثقيف من جهة أخرى.

7. قائمة المراجع: طريقة (APA)

[1]- Nessah, Ahmed, 2008,monographie de la commune de tizi-n' tleta, tizi n'tleta, p01.
[2]- ibid, p01.

[3]- Voir Ould Fela, Kamel,2004, Révision PDAU d'Azazga, rapport d' orientation et partie aménagement, Tizi Ouzou, , p06.

* تسمية تحمل معنى" الصم" في العربية ، فمنطقة "إعزوڤن" تعني منطقة الأصماء.

[4]- Voir ,Oussadik, 1992, (T.) lla FA'TMA N'SOUMEUR, ENAL, Alger, PP 30,31.

[5]– ينظر، آيت قاضي، ذهبية، 2005، " اللّغز في الحكاية الشّعبية القبائلية "، مجلة القصص و التاريخ(التمثيل الرمزي لحقب من التاريخ الاجتماعي الجزائري)، الجزائر ، وزارة الثقافة، العدد الثاني، ص 12 .

[6]- Allioui ,Youcef ,2005, Enigmes et joutes oratoires de kabylie (Timsaɛaq – Timsal-Izlan), édition Bèlinguebèrbère – Français, l'harmatan, Paris, France, P 18.
[7]-Ibid , p 19.
[8]- Ibid , PP 18,19.
[9]- voir , Tabti, Rabah, Devinette kabyle (Structure , usage et propositions d'exploitation pedagogique), thése de magister, Département de langue et culture Amazigh, Université de Tizi-ouzou, 2008, pp 167, 168.

[10]- Bentolila, Fernand, 1986,Devinettes Bèrbères, éditions Fleuve et Flame, Lile, France, pp 361, 362.

[11]– الراوية: معوّال، حوّة ،89 سنة، أمية، قرية الشرفاء، عزازقة، يوم 2011/03/28 على الساعة 09:30 صباحا.
[12]– أيت قاضي، ذهبية، المرجع السابق، ص129، ص130.

[13]– الراوية: معوّال، حوّة ، السابقة الذكر.
[14]– الراوية: زدام، حجيلة، 86سنة، أمية، قرية أيت عبد المؤمن واضية يوم2011/04/08 على الساعة 14:00 زوالا.
* بمعنى: " وضعتُ حبة في سقف، يموت منكم من نطق".
[15]– مجموعة من الراويات من منطقة عزازقة.
[16]– زيادي، أحمد ،2003، الأحاجي الشّعبية المغربية (مجالاتها و بنياتها و وظائفها و مقارناتها و خصائصها)، رسالة دكتوراه، الدار البيضاء، بيروت، جامعة الحسن الثاني، ص435.

* ردّ على كلمة أماشهو، و بدون هذا الرّد، تتوقف المتحدثة عن مواصلة كلامها، فهو بمثابة لفظة من ألفاظ العبور من مقام إلى مقام آخر.

**بمعنى سأكلفك بالحمل.

***بمعنى أنها تقول: "ما دمتَ لم تجد الحلّ ، سأكلفك بالحمل ، ستحمل كل القوم ، و غراب ذي منقار، وقفة من مسامير، و أضربك بدبوس إلى صدرك ، و لكمة على أنفك...".

[17] - بن سالم، حورية، 2006،" أدبية أشكال التعبير الشعبي الأمازيغي"، مجلة الخطاب (دوية اكاديمية محكمة تعنى بالدراسات والبحوث العلمية في اللغة والأدب)، العدد الأول، دار الأمل للطباعة و النشر و التوزيع، جامعة تيزي وزو ، ص93.

[18]– ينظر، الباش، حسن، و السهيل، محمد توفيق، د.ت ، المعتقدات الشّعبية في التراث العربي، القاهرة، مصر ، دار الجليل ، د.ط، ص209، ص210.